ابن الأزرق الأصبحي الغرناطي الأندلسي (ت ٨٩٦ هـ) - حياته وشعره -

Ibn Al-Azraq Al-Asbahi Al-Garnati Al-Andalusi

(died 896 AH) His life and poetry

أ.م.د. هشام نهاد شهاب
الجامعة العراقية/ كلية الآداب/قسم اللغة العربية
HISHAM_SHIHAB@aliraqia.edu.iq

الملخص

يدور الحديث في هذا البحث حول شاعر كبير من شعراء الأندلس في القرن التاسع الهجري، ألا وهو الشاعر ابن الأزرق الأصبحي الأندلسي، فما بين أيدينا من شعره يؤكد لنا مدى قدرته الشعرية ونفسه الطويل فيه، فهو شعر يحوي جوانب موضوعية وفنية تتجلى في إجادته النظم في فنون الشعر المختلفة، وأغراضه المتعددة، والعمل هنا يرتكز إلى تبيان مراحل حياته المختلفة، وجمع شعره من بطون كتب التراث، فهو شاعر لم تسلط عليه الأضواء، ولم ينل الاهتمام الكافي، فكان واجبنا هو التصدي لشعره، خدمة لتراث أدب الفردوس المفقود.

الكلمات المفتاحية: ابن الأزرق الأصبحي، الأندلسي، حياته، شعره.

Abstract

This research revolves around a great poet from the poets of Andalusia in the ninth century AH, namely the Andalusian poet Ibn Al-Azraq Al-Asbahi. What we have in our hands of his poetry confirms to us the extent of his poetic ability and his long breath in it. It is poetry that contains objective and artistic aspects that are evident in his mastery of composing in the various arts of poetry and its multiple purposes.

The work here is based on clarifying the different stages of his life and collecting his poetry from the depths of heritage books. He is a poet who has not received the spotlight and sufficient attention, so it was our duty to address his poetry in service of the lost Paradise literary heritage

Keywords: Ibn al-Azraq al-Asbahi, Andalusian, his life, his poetry.

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

التراث الأدبي الأندلسي والمغربي معين لا ينضب أبدًا، وهو بحاجة إلى المزيد والمزيد من البحث والدراسة؛ نظرًا لثراء تجارب الأندلس والمغاربة وسعة نتاجهم الشعري الذي امتلأت بهِ كتب التراث أندلسية ومشرقية، وحقيقة الأمر أنَّ هناك مجموعة كبيرة من الشعراء بحاجة إلى جمع إبداعهم الشعري لكي يأخذ طريقه إلى القرّاء والمحبين لتراث أدب الفردوس المفقود، وهذا ما ذهبت إليه هذه الدراسة المتواضعة، إذ اختصت بأحد أعلام الأندلس والمغرب والمشرق أيضاً في القرن التاسع الهجري وهو الشاعر ابن الأزرق الأصبحي الأندلسي، فقد كان عالمًا كبيرًا، وشاعرًا مجيدًا، متنوعًا في المعارف والعلوم، ولديه العديد من المؤلفات، فضلاً عن إجادته النظم في العديد من أغراض الشعر واتجاهاته المختلفة، وقد سعت الدراسة التي تألفت من قسمين إلى الحديث في القسم الأول عن أبرز محطات ابن الأزرق منذ الولادة وحتى الوفاة، وبيان صفاته ومنزلته وأبرز مؤلفاته وذكر أهم شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، وتلامذته الذين نهلوا العلم منه ، وكذلك الوقوف عند أبرز ملامح شعره الموضوعية والفنية. أمَّا القسم الثاني فقد كان موجهًا نحو جمع أشعار الشاعر، وتوثيقها من المصادر التي وردت فيها.

وختامًا أسأل الله تعالى أنْ يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأنْ يكون خطوة مهمة في سبيل إحياء تراث الأدب الأندلسي المعطاء.

القسم الأول
سيرة ابن الأزرق

❖ اسمه ونسبه:

هو محمد بن علي بن محمد بن علي بن قاسم بن مسعود أبو عبد الله الأصبحي الغرناطي الأصل المالكي ويعرف بالأزرق، وقيل أنَّهُ ابن الأزرق وفي موضع آخر هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي الأزرق الأندلسي المالكي، ولد في مالقة ونشأ فيها وتلقى علومه.[1]

(١) يُنظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٩/ ٢٠ ، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر: ١٢٤ ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٢/ ٤٨٥ ، توشيح الديباج وحلية الابتهاج: ٢٠١ ، نيل الابتهاج بتطريز

❖ مولده:

لم تذكر لنا المصادر التي ترجمت لحياة شاعرنا ابن الأزرق السنة التي ولد فيها الشاعر بالتحديد، ولكن صاحب كتاب الأنيس الجليل بتاريخ القدس والخليل يرى أنَّ إقامته في القدس استغرقت إحدى وستين يومًا، وقد توفاه الله عزَّ وجلّ وله خمس وستون سنة[1] ، وعند طرح سنة وفاته في **٨٩٦**هـ من عمره رحمه الله تعالى يتبين لنا أنَّ سنة ولادته كانت في سنة **٨٣١**هـ.

❖ شيوخه ومصادر ثقافته:

كانت مصادر ثقافة ابن الأزرق متنوعة ومتعددة، وهو تلقى علومه ومعارفه على عدد من كبار العلماء في عصره، فقد حفظ القرآن الكريم وغيره من كتب الحديث، وهو قد تلا لابن كثير على قاضيها أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد البدوي ولنافع على أبي عمرو محمد بن محمد بن أبي بكر بن منظور والخطيب أبي عبد الله محمد بن أبي الطاهر بن محمد بن بكروب الفهروي وعنه أخذ في مبادئ العربية والفقه والفرائض، وكذا أخذ عن الأولين العربية والفرائض، وعن ثانيهما الفقه والحساب، ولازم إبراهيم بن أحمد بن فتوح مفتي غرناطة بها في النحو والفقه والأصلين والمنطق، وكان ابن الأزرق رحمه الله تعالى حريصًا على حضور مجالس العلماء والفقهاء، فقد حضر مجالس أبي عبد الله محمد بن محمد السرقسطي العالم الزاهد مفتيها أيضاً في الفقه، وكذلك مجالس الخطيب أبي الفرج عبد الله بن أحمد البقني والشريف قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن يحيى بن أبي عبد الله التلمساني الشارح جده لجمل الخونجي والخطيب المفتي أبي عبد الله محمد بن يوسف بن المواق العبدري ، أمَّا فيما يتعلق بالأدب وفنونه فقد أخذها عن محمد بن زكريا بن جبير وآخرين لقيهم بفاس وتلمسان وتونس كقاضي الجماعة أبي يحيى بن محمد بن أبي بكر بن عاصم فأنه قد جالسه كثيرًا واستمع منه أكثر وانتفع بعلمه وأدبه.[2]

❖ تلاميذه:

كان لابن الأزرق الفقيه والعالم والأديب العديد من التلاميذ الذي نهلوا منه العلوم والمعارف المختلفة، ومنهم:

الديباج: **٥٦١** ، نفح الطيب: **٦/٦٩٩** ، أزهار الرياض في أخبار عياض: **٣/٣١٧** ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: **١/٣٧٧** ، الأعلام: **٦/٢٨٩**.

(١) يُنظر: الأنس الجليل: **٢/٥٩٢**.

(٢) يُنظر: الضوء اللامع: **٩/٢٠- ٢١** ، توشح الديباج: **٢٠١** ، نيل الابتهاج: **٥٦١** ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري: **٢/٦٩٩** ، شجرة النور الزكية: **١/٣٧٧**.

١- الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الوادي آشي الغرناطي، الذي سكن في مدينة تلمسان بعد أنْ أخذت غرناطة، وكان بارعًا في كثرة النسخ والكتابة[١]، ولا يمكن استبعاد أنْ يكون قد نسخ كتب ابن الأزرق وله الفضل بعد الله عزَّ وجلّ في النشر والتداول.[٢]

٢- الحافظ أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي الغرناطي الأندلسي، ترك لنا نماذج كثيرة لبعض الأدعية الخاصة بأستاذه ابن الأزرق.[٣]

٣- شرف الدين يحيى بن محمد الأنصاري المغربي الأندلسي المالكي، وهو (كان من أهل العلم ماهرًا في العربية، اشتغل بالعلم بالأندلس على قاضي القضاة شمس الدين بن الأزرق).[٤]

❖ وظائفه:

تقلد شاعرنا ابن الأزرق الأندلسي خلال مراحل حياته العديد من الوظائف والمناصب، فقد تولى قضاء غربي مالقة في أيام حكم سعد بن علي بن يوسف بن نصر صاحب الأندلس، ثُمَّ تولى قضاء مالقة مسقط رأسه نفسها عن أبي عبد الله محمد بن سعد، ثُمَّ قضاء وادي آش عن أخيه أبي الحسن علي بن سعد، ثُمَّ نقله إلى مالقة ثُمَّ إلى قضاء الجماعة بغرناطة، ثُمَّ بعد سنين عديدة مرت ارتحل ابن الأزرق إلى بلاد القدس الشريف فتولى هناك قضاء القدس.[٥]

❖ مكانته ومؤلفاته:

انماز شاعرنا ابن الأزرق بأَنَّهُ كان صاحب مكانة علمية مرموقة يُشار إليها بالبنان، فهو كان عالمًا في الكثير من العلوم سواء دينية منها أو أدبية، وقد ذكرت المصادر التي ترجمت لحياته الحافلة بالعلم والمعرفة أَنَّهُ ترك لنا العديد من المؤلفات وهي:

١- بدائع السلك في طبائع المُلك، وهو كتاب حسن ومفيد في موضوعه، لخص فيه ابن الأزرق كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخية وغيره مع زوائد كثيرة[٦]، وقد تم تحقيق الكتاب على يد الأستاذ الدكتور علي سامي النشار وصدر عن دار السلام للطباعة في مصر.

(١) أزهار الرياض: ٣/٣٠٥.
(٢) بدائع السلك في طبائع الملك: ١/١٧.
(٣) في نفح الطيب: ٢/٧٠٣- ٧٠٤.
(٤) الأنيس الجليل: ٢/٢٥٣- ٢٥٤.
(٥) يُنظر: الضوء اللامع: ٩/٢١، الأنيس الجليل: ٢/٤٨٥، الأعلام: ٦/٢٨٩.
(٦) يُنظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج: ٥٦١، أزهار الرياض: ٣/٣١٨، نفح الطيب: ٢/٦٩٩، الأعلام: ٦/٢٨٩.

٢- روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، وهو مجلد ضخم فيه العديد من الفوائد والحكايات وهو لم يؤلف في فنه مثله أبدًا، وكذلك هو يحوي شرح مختصر خليل مع مقدمة حافلة في أوله[١] ، وقد حققت الكتاب الأستاذة سعيدة العلمي وصدر عن منشورات كلية الدعوة الإسلامية في طرابلس.

٣- شفاء الغليل في شرح مختصر خليل، وهو كتاب في شرح فقه المالكية، ويُقال أَنَّهُ حصل توارد مع ابن غازي في التسمية، ولعل أنَّ كلاً منهما لم يقف على تسمية الآخر، وهنا رأي يقول أنَّ التسمية هي شفاء العليل وليس الغليل.[٢]

❖ رحلته ووفاته:

كان شاعرنا ابن الأزرق كثير الترحال والتنقل بين البلدان والمدن، فقد ترك غرناطة أيام حكم أبي عبد الله محمد الزغل بعد أنْ سقطت غرناطة بيد ابن أخيه أبي عبد الله محمد المخلوع الذي سلم مفاتيح الأندلس إلى الإسبان سنة ٨٩٧هـ، إذ انتقل ابن الأزرق إلى مدينة فاس، ثُمَّ بعد ذلك ذهب إلى تلمسان، ثُمَّ ارتحل بعد ذلك إلى الديار المصرية، ومن بعد ذلك توجه إلى مكة المكرمة وزار النبي (صلى الله عليه وسلم) في المدينة، وبعد ذلك رجع إلى القاهرة، وفي نهايات حياته تولى القضاء في القدس، إذ تولاه بنزاهة وصيانة وطهارة وعفة، وحصل على كثير من الثناء عليه.

ثُمَّ أَنَّهُ حصل لهُ توعك ومرض استمر ملازمًا لهُ حتى توفاه الله سبحانه وتعالى في يوم الجمعة سابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ست وتسعين وثمانمائة، وقد كانت الصلاة عليه رحمه الله تعالى بعد صلاة العصر في المسجد الأقصى ودفن هناك.[٣]

❖ شعره:

عند الحديث عن شعر ابن الأزرق الأندلسي نجد أَنَّهُ قد ترك لنا تراثًا شعريًا فاخرًا يتجلى في العديد من القصائد الطويلة والمقطعات القصيرة، نقلتها الموسوعات الأندلسية الأدبية، وقد قيلت في مناسبات معينة أثبتها بعض الذين ترجموا لحياته وبالتحديد المقري في كتابه (نفح الطيب) و (أزهار الرياض).

(١) يُنظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج: ٥٦١ ، أزهار الرياض: ٣/٣١٨ ، نفح الطيب: ٢/٦٩٩ ، شجرة النور الزكية: ١/٣٧٧- ٣٧٨، الأعلام: ٦/٢٨٩.

(٢) يُنظر: أزهار الرياض: ٣/١١٧- ٣١٨ ، نفح الطيب: ٢/٧٠١- ٧٠٢ ، شجرة النور الزكية: ٧٣٨، الأعلام: ٦/ ٢٨٩.

(٣) يُنظر: الضوء اللامع: ٩/ ٢١ ، بدائع السلك: ٢/٧٣٦ ، دوحة الناشر: ١٢٤ ، أزهار الرياض: ٣/٣١٨ ، نفح الطيب: ٢/٧٠٢ ، الأنيس الجليل: ٢/٥٩٢.

إنَّ الاستقراء الدقيق للأشعار التي نظمها ابن الأزرق الغرناطي يدل على نظم يحوي درر وألفاظ بديعة ورقة في الأسلوب واللغة الشعرية، مع الطرافة في المواضيع والدقة في المعاني، فضلاً عن التنوع في الأغراض الشعرية، إذ كانت تدور ما بين المديح لبعض الشخصيات اتي عاصرها في سنين حياته.

وكذلك نجد لهذا الشاعر البارع شعر رثاء، ومنها على وجه التحديد نصه الشعري في رثاء والدته مبينًا فيه اللوعة والحزن الشديدين على هذا الفقدان، وكما هو معلوم فإنَّ الشاعر كان قد شهد عصرًا عصيبًا عانت فيه بلاد الأندلس من ويلات الحروب مع الأعداء من الصليبيين، فنجد لهُ شعرًا في هذا المقام يحث فيه على الصبر والاعتداد بالنفس عند الشدائد والمصاعب، وكذلك نجد من خلال الشعر الذي وصلنا أنَّ ابن الأزرق كان قد نظم العديد من النصوص الشعرية في الوصف مثل وصف الدخان ووصف الربيع وغيرهما.

وفي الجانب الفني نجد أنَّ الشاعر قد كانت الفاظه الشعرية تميل إلى السهولة والوضوح مع اهتمامه بإيراد العديد من الصور الشعرية الرائعة، ومن ناحية الموسيقى الشعرية نجد أنَّ الشاعر كان قد استعمل في نصوصه الشعرية العديد من البحور الشعرية، إذ احتل البحر الطويل المرتبة الأولى، ويليه البحر البسيط والكامل، ثُمَّ السريع والمتقارب والرجز، وأخيرًا الرمل، إذ أنَّ استعماله لهذا العدد من البحور يدل على تمكنه من الشعر وبحوره المتعددة، وفيما يخص القافية فقد أكثر الشاعر من استعمال القافية المطلقة على حساب القافية المقيدة، وكذا الحال بالنسبة للموسيقى الداخلية، إذ كان الشاعر قد أكثر من توظيف التكرار والطباق والجناس وغيرها.

إنَّ الجوانب الفنية التي حوتها النصوص الشعرية للشاعر ابن الأزرق هي في معظمها جاءت لغايات دلالية وجمالية وفنية، اقتضتها طبيعة الموضوع الشعري الذي مرَّ بهِ الشاعر عبر مراحل حياته المختلفة، فمنحت النصوص الشعرية رونقًا وبهاءً، وأسهمت في إيصال مشاعره وأفكاره إلى الجمهور.

❖ منهج الجمع وعمله:

١- تم السعي في هذه الدراسة إلى جمع أشعار ابن الأزرق وتوثيقها من المصادر التي وردت فيها، وقد حاولنا قد المستطاع الاعتماد على قدم المصدر.

٢- ترتيب الأشعار كان على حروف المعجم، وتم منح رقم لكل نص شعري، فضلاً عن ترقيم أبيات النص الشعري الواحد.

٣- ذكرنا البحر الشعري للنصوص الشعرية.

القسم الثاني

شعره

قافية الجيم

-١-

وله أيضاً في تورية: (من الرمل)

قل لَمَنْ رام النوى عن وَطَنٍ * * * قولةً ليس بها من حَرَجِ

فرّجِ الهمَّ بسكنى بسطةٍ * * * إنَّ في بسطةَ بابَ الفرَجِ

التخريج:

ورد البيتان في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٦/٤٤٧.

قافية الدال

-٢-

ومنه قوله عند وفاة والدته رحمها الله تعالى: (من البسيط)

تقولُ لي ودموعُ العين واكفة *** ما أفظعَ البَينَ والترحالَ يا ولدي

فقلت أينَ السُّرى قالت لرحمة مَنْ *** قد عزَّ في المُلك لم يولدْ ولم يَلِدِ

التخريج:

ورد البيتان في أزهار الرياض في أخبار من عياض: ٣/٣١٩، وفي نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٢/٧٠٣.

قافية الراء

-٣-

وقوله: (من الطويل)

وقائلةٍ صِفْ للربيع محاسناً *** فقلت وعندي للكلامِ بدارُ

همي ببطاحِ الأرضِ صَوبٌ من الحيا *** فللنَّبتِ في وجه الزمانِ عِذارُ

التخريج:

ورد البيتان في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٢/٧٠٢.

-٤-

وله قوله رحمه الله تعالى :

(من الطويل)

بضائعُكَ ابنَ الضائعِ النَّدبَ قد أتتْ *** بحظٍ من التحقيقِ والعلمِ موفورِ
فَطِرْتَ عُقاباً كاسراً أوَما ترى *** مَطارَكَ قد أعيا جناحَ ابنَ عصفورِ

التخريج:

ورد البيتان في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٢/ ٧٠١

-٥-

وقال رحمه الله تعالى موريا :

(من الرمل)

من تكنْ صنعته الإنشاء لا *** ينكرُ الرزقَ لأقصى العُمُرِ
ولو استعلى على السبع الدرا *** ريِّ بما في فمهِ من دُرَرِ
فأنا الكاتبُ لكن لو يُبا *** ع ليَ العتق لكنتُ المشْتري

التخريج:

ورد الابيات في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٢/ ٧٠٤

قافية السين

-٦-

ومن بديع نظمه رحمه الله ، قصيدةٌ مدح بها شيخه الإمام العلامة الجليل أبا يحيى (بن عاصم) وهي من غرر النظام، وحرِّ الكلام، وأثبتها لغرابتها:

(من الكامل)

خَضَعَتْ لِعِطفهِ الغُصونُ المَيَّسُ *** ورنا فهام بمقلتيه النرجسُ
ذو مبسمٍ زَهر الرُّبا في كسبهِ *** متنافسٌ عن طيبة مُتَنَفِّسُ
ومورَّدٍ من وردهِ أو ناره *** يتنعمُ القلب العميدُ ويأَسُ
فالورد فيه من دموعيَ يرتوي *** والنارُ فيه من ضلوعيَ تقبسُ

كَملَت محاسنه فَقَدٌّ ناضرٌّ *** ولواحظٌ نُجْل وثَغر العّسُ
صعب التعطّف بالغرامِ حَبيتُهُ *** فالحبُّ يحبى والتعطّف يَحبسُ
غرسَ التشوقَ ثم أغرى الوجدَ بي *** فالوجدُ يغري والتشوق يَغرسُ
ماكنت اشقى لو حللتُ بجنةٍ *** من وصله تحيا لديها الأنفسُ
ألحاظه ورضابُهُ وعذارُهُ *** حورٌ بها أو كوثرٌ أو سندسُ
وليالي أُنسٍ قد أمنتُ بهنّ مِنْ *** واشٍ يَنِمُّ ومِن رقيبٍ يَحرسُ
اطلعت شمس الراح فيها فاهتدى *** عاش إلينا في الدُّجى ومُغلِّسُ
صفراء كالعقبان في الألوان للندمان *** كالشهبان مِنها أكؤسُ
صُبَّت شْقيقـًا فاستحالت نرجسًا *** في مَزجها فَمُوَردٌّ ومُوَرَّسُ
وحبابها يُقنى بأسنى جوهرٍ *** أنفى لغَم المعدمين وأنفَسُ
يجلى بها للغَمِّ منها حِندسٍ *** قمرٌ عليه من الذؤابةِ حندسُ
حتى إذا عَمِشت يراهُ البدر مِن *** صبحٍ بدا تِلقاءَهُ يَتنفَّسُ
ناديته وسَنى الصباح مُحصحِصٌ *** ينجاب عنه من الظلام مُعَسعِسُ
يا مُطلِع الأنوار زَهرًا يُجتنى *** ومشعشعَ الصَّهباء نارًا تُلمَسُ
بك مجلسُ الأُنسِ اطمأن وباعا *** صمٍ اطمأن من الرِّياسةِ مجلسُ
بدرٌ بأنوار الهدى متطلِّعٌ *** غيثٌ بأشتات النَّدى متبجِّسُ
حامى فلم نَرتَع لخطبٍ يُعترى *** ووفى فلم نَحفِل بدهر يَنحُسُ
شِيَمٌ مهذبةٌ وعِلمٌ راسخٌ *** ومكارمٌ هُتْن ومجدٌ أقعَسُ
لو كان شخصاً ذكره لبدا على *** أعطافه من كل حمد مُلبسُ
ذاكم أبو يحيى به تُحمى العُلا *** وبه خلال الفخر طُراً تُحرَسُ
بيتٌ على عَمدِ الفخار مُطنَّبٌ *** مجد على متنِ السَّماكِ مُؤسسُ
خيمٌ وعرسٌ في حِماهُ فكمْ حَوى *** فيه المرادَ مُخيَّمٌ ومُعَرِّسُ

إنا لنَغدو هُيَّما فَينُيلنُا *** ريَّاً ويوحشنا النَّوى فيؤنِّسُ
حتى أقمْنا والأماني مُنهِضا *** تٌ وابتسمنا والزمانُ مُعَبَّسُ
لم ندْر قبل يراعه وبنانه *** أَنَّ الذوابل بالغمائم تُحبَسُ
هُنَّ اليراعُ بها يؤمَّن خائفٌ *** ويحاطُ مذعورٌ ويُغني مفلسُ
مهما انبرتْ فهي السُّهام يُرى لها *** وقعٌ لأغراض البيان مُقرطِسُ
تشفي بمأمَلِهِ التَّشكّي المعتري *** تُحيي بمأمنه الحمامَ المُؤْيسُ
فتقُصّ حين تُشقُّ منها ألسنٌ *** وتسير حين تُقطّ منها أرؤُسُ
من كل وَشاءٍ بأسرار النهى *** دربٍ بإظهار السّرائر يَهجِسُ
قد جَمّعَ الأضدادَ في حركاته *** فلذا اطِّراد فخاره لا يُعكسُ
عطشانُ ذو ريٍّ يبيسٌ مثمرٌ *** غضبانُ ذو صفحٍ فصيحٌ أخرسُ
لله من تلك اليراع جواذبٌ *** للسَّحر منك كأنها المِغْنيطسُ
رُضنا شماس القول في أوصافها *** فهي التي راضتْ لنا ما يَشمُسُ
وإليكها حُللاً تَناسَبَ نسجُها *** مثلي يُفصِّلها ومثلك يلبّسُ
واهنأ بعيدٍ باسمٍ متهللٍ *** وافاك يجهرُ بالسُّرور ويهمِسُ
واحبس لواء الفخر موقوفا فـإن *** الحمدَ موقوف عليك مُحَبَّس

التخريج: وردت الأبيات في أزهار الرياض في أخبار من عياض: ٣/ ٣٢٠-٣٢٢.

قافية الضاد

-٧-

وقوله: (من المتقارب)

تعجَّبتَ من يانعِ الوردِ في *** سنا وَجنةٍ نبتُها بأرِضُ
ولِمْ لا يُرى وردها يانعـًا *** وقد سال من فوقها العارضُ

التخريج:

ورد البيتان في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٢/ ٧٠٣.

-٨-

وقفت عليه بتلمسان وحفظت منه ما أنشده لبعض أهل عصره مما يكتب في سيف :

(من البسيط)

إن عَمَّتِ الأفقَ من نَقع الوغى سُحُبٌ *** فِشمْ بها بارِقاً من لَمْعِ إيماضِ

وإن نوت حركاتُ النصرِ أرضَ عِدىً *** فليس للفتح إلا فعليَ الماضي

ورد البيتان في أزهار الرياض في أخبار عياض: ٣/ ٣٢٢، وفي نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٢/ ٧٠٠.

قافية العين

-٩-

ومن شعره رحمه الله تعالى عند نزول طاغية النصارى دمرهم الله بمرج غرناطة أعادها الله للإسلام ، بجاه النبي عليه الصلاة والسلام :

(من الطويل)

مَشُوقٌ بخيمات الأحبة مُولَعٌ *** تذكَّره نجدٌ وتُغريه لَعْلَعُ

مواضعكم يا لائمين على الهوى *** فلم يبق للسُّلوان في القلب موضعُ

ومَن لي بقلبٍ تَلتظي فيه زفرَةٌ *** ومن لي بجفنٍ تنهمي منه أدمعُ

رُوَيدَك فارقُب للطائف موقعاً *** وخلِّ الذي من شَرِّهِ يُتَوقَّعُ

وصبراً فإن الصبر خيرُ تميمةٍ *** ويا فوزَ من قد كان للصَّبر يَرجعُ

وبت واثقـًا باللُّطف من خير راحمٍ *** فألطافُهُ من لمحةِ العينِ أسرعُ

وإن جلَّ خطبٌ فانتظر فَرَجـًا له *** فسوف تراه في غدٍ عنك يُرفع

وكن راجعـًا لله في كل حالةٍ *** فليس لنا إلاّ الى اللهِ مَرْجعُ

التخريج: وردت الأبيات في أزهار الرياض في أخبار من عياض: ٣/ ٣١٩.

قافية القاف

-١٠-

ولبعض أصحابنا فيها وهو الأديب الكاتب أبو عبدالله ابن الأزرق :

(من الكامل)

في بسطةٍ حيثُ الأباطحُ مشرقة *** أضحت جفوني بالمحاسنِ مغلقهْ

التخريج:

وردت البيت في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٦/٤٤٧.

قافية اللام

-١١-

ومن بديع نظمه رحمه الله قوله قاصداً مخاطبة شيخه الحافظ ، قاضي الجماعة أبي القاسم بن سِراج، وقد طلب منه الاجتماع به زمان فتنة، فظن انه يستخبره عن سر من أسرار السلطان فباعدهُ معتذرًا ولم يصدق الظن:

(من الطويل)

فديتك لا تسأل عن السِّر كاتبا *** فتلقاه في حالٍ من الرشد عاطِلِ

وتضطرَّه إمّا لحالة خائن *** أمانَتهُ أو خائض في الأباطلِ

فلا فرقَ عندي بين قاضٍ وكاتبٍ *** وَشى ذا بحقٍ أو قضى ذا بباطلِ

التخريج:

وردت الأبيات في أزهار الرياض في أخبار من عياض: ٣/٣٢٢-٣٢٣.

-١٢-

وقوله: (من الطويل)

تأُمَّلتُ من حُسنِ الربيع نضارةً *** وقد غَرَّدتْ فوق الغصون البلابلُ

حكَتْ في غُصونِ الروحِ قسًا فصاحة *** لتعلم أن النبتَ في الروض باقلُ

التخريج:

ورد البيتان في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٢/٧٠٢.

قافية النون

-١٣-

ومن مجون الأندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لابي عبدالله ابن الأزرق وهي:

(من الرجز)

عم باتصالِ الزمنِ *** ولا تُبالي بَمنِ
وهو يواسي بالرضى *** من سَمجٍ أو حَسنِ
أو من عجوزٍ تحتظي *** والظهرُ منها منحني
أو من مليحٍ مُسعِدٍ *** موافقٍ في الزمنِ
مهما تبدّى خدُّهُ *** يبدو لك الوردُ الجني
والغصنُ في أثوابهِ *** إذا تمشّى ينثني
لا أُمَّ لي لا أُمَّ لي *** إن لم أُبرِّد شجني
وأخلَعنَّ في المجو *** ن والتصابي رَسَني
وأجعل الصبرَ على *** هجر الملاحِ ديدني
يا عاذلي في مذهبي *** أرداكَ شُربُ اللبَنِ
أُعطيتَ في البطن سنا *** ناً إن تخالف سَنني
أيُّ فتًى خالفني *** يوماً ولّما يَلقَني
فإنّني لناصحٌ *** وإنّني وإنّني
فلا تكن لي لاحيًا *** وفي الأمور استفتني
فلم أزل أُعربُ عن *** نصحي لمن لم يلحُني
وإنْ تُسفِّه نظري *** ومَذهَبي وتنهني
فالصفع تستوجبه *** نعم ونَتْفَ الذَّقنِ
والزبلُ في وجهك يع *** لو باتصال الزمنِ

وبعد هذا أشتفي *** منك ويبرا شجني
وأضرب الكفَّ أَما *** م ذلك الوجه الدّني
طقطق طقٍ طقطق طقٍ *** أصخ بسمع الأُذنِ
قحقح قح قحقح قح *** الضحك يغلبلبني
قد كان أولى بك عَنْ *** هذي المخازي تنثني
النّفيِّ تَستوجبُهُ *** لواسطٍ أو عَدَنِ
عرضتَ بالنفسِ كذا *** إلى ارتكاب المحنِ
أفدي صديقـًا كان لي *** بنفسهِ يُسعدُني
فتـــارةً أنصحُـــهُ *** وتارةً ينصَحُني
وتـــارةً ألعنُـــهُ *** وتارةً يلعَنني
وربـــما أصفعُـــهُ *** وربما يصفعنُي
أستغفر الله فهـ *** ـذا القولُ لا يعجبني
يا ليت هذا كلّهُ *** فيما مضى لم يكُنِ
أضحكتُ والله بذا الـ *** ـحديث من يسمعني
دهرٌ تولّى وأنقضى *** عنّي كطيف الوَسنِ
يا ليتني لم أره *** وليته لم يرني
دَنّستُ فيه جانبي *** وملبسي بالدَّرَنِ
وبعت فيه عيشتي *** لكن ببخس الثَمنِ
كأَنّني ولست أد *** ري الآن ما كأَنّني
والله ما التشبيه عنـ *** ـد شاعرٍ بهيِّنِ
لكنّهُ أنطقني *** بالقول ضيقُ العَطَنِ
وا حسرتي وا أسفي *** زلتُ وضاعت فِطني

لو أنصف الدهرُ لما *** أخرجني من وطني
وليس لي من جنّةٍ *** وليس لي من مسكنِ
أسرِّحُ الطّرفَ وما *** لي دمنةٌ من الدمنِ
وليس لي من فرسٍ *** وليس لي من سكن
يا ليت شعري وعسى *** يا ليت أن تنفعني
هل أمتطي يومًا إلى الـ *** ـشّرق ظهورَ السُّفُنِ
وأجْتَلي ما شئتهُ *** في المنزل المؤتمنِ
حينئذٍ أخلعُ في *** هذي القوافي رَسَني
وتحسنُ الفكرة في بالـ *** ـعُدوسِ والسّمنسني
واللحم مع شحمٍ ومعْ *** طوابقِ الكبش الثّني
والبيضِ في المقلاة بالـ *** ـزيت اللذيذ الدهنِ
وجلدةِ الفرّوج مشـ *** ـوياً كثير السمنِ
مَن منقذي أفديه من *** ذا الجوعِ والتمسكنِ
وعلة قد استوى *** فيها الفقيرُ والغني
هل للثريد عودةٌ *** إليَّ قد شوقني
تغوص فيه أنملي *** غوصَ الأكول المحسنِ
ولي إلى الإسفنج شَوْ *** قٌ دائمٌ يطربني
وللأرزِّ الفضلُ إذ *** تطبخُهُ باللّبنِ
وللشـــواءِ والرِّقـــا *** ق من هيامٍ أنثني
واسكتْ عن الجبن فإنَّ *** بنْتَـــه تُذهلنـــي
ظاهرها كالوردِ أو *** باطنها كالسوسنِ
أيُّ امرئٍ أبصرها *** يومـًا ولم يفتنِ

تهيمُ فيها فِكَرُ الأسـ *** تاذِ والمؤذَنِ
لو كان عندي معدنٌ *** لبعتُ فيها معدني
لكنني عزمتُ أَن *** أبيع كُمَّ البَدنِ
والكمّ قد أكسبه *** بعدُ ولا يكسبني
لا تنسبوا لي سَفَهـًا *** فالجوعُ قد أَرشدني
وهات ذكر الكسكسو *** فهو شريفٌ وسَني
لا سيّما إن كان مصـ *** ـنوعاً بفتلٍ حَسَنِ
أرفع منه كُوَرًا *** بهنَّ تدوي أُذني
وإن ذكرت غير ذا *** أطعمةً في الوطن
فابدأ من المثوّما *** ت بالجبنِّ الممكنِ
من فوقها الفرّوجُ قد *** أُنهيَ في التسمّنِ
وثنِّ بالعصيدةِ الـ *** ـتي بها تطربني
لا سيّما إن صُنعتْ *** على يَديَ ممَركَنِ
كذلك البلياطُ بالـ *** ـزيت الذي يقنعني
تطبُخُه حتى يرى *** يحْمَرّ في التّلوُّنِ
والزبزبنُّ في الصحا *** ف حسبُ أهل البطن
فاسمعْ قضاءَ ناصحٍ *** يأتي بنُصحٍ بَيّنِ
من اقتنى التفين فهـ *** و الآن نعم المقتني
وإنّ في شاشية الـ *** فقير أُنسًا للغني
تبعدني عن وصلها *** عن وصلها تبعدني
تؤنسني عن اللقا *** عن اللقا تؤنسني
فأضلعي إن ذُكرت *** تهفو كمثلِ الغُصُنِ

كمْ رُمتَ تقريباً لها *** لكنه لم يهُنِ
وصدّني عن ذاك قـ *** ـلة الوفا بالثمنِ
إيهٍ خليلي هذهِ *** مطاعمٌ لكنني
أعجبُ من ريقكَ إذ *** يسيلُ فوقَ الذَقنِ
هلْ نلت منها شبعـًا *** فذكرها أشبعني
وإن تكن جوعان يا *** صاح فكلْ بالأُذنِ
فليس عند شاعرٍ *** غيرُ كلامِ الألسنِ
يصوِّرُ الأشياء وهـ *** ـي أبداً لم تكُنِ
فقوله يريك ما *** ليس يرى بالممكنِ
فاسمح وسامح واقتنع *** واطو حشاك واسكُنِ
ولننصرف فقصدُنا *** إطرافُ هذا الموطنِ

التخريج:

وردت الأبيات في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٣/٢٩٨-٣٠٣.

-١٤-

ومنه قوله رحمه الله تعالى :

(من السريع)

عذريَ في هذا الـدخانِ الذي *** جـاور داري واضحٌ في البيـانْ
قَدْ قلـتمُ إنَّ بـها زخرفاً *** ولا يلـي الـزخرفَ إلا الــدخانْ

التخريج:

ورد البيتان في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٢/ ٧٠٢.

-١٥-

ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله في المجبَّنَّات:

(من مخلع البسيط)

ورُبَّ محبوبةٍ تبدّت *** كأنها الشمس في حلاها
فأعجب لحال الأنام مَنْ قدْ *** أحبَّها منهم قَلاها

التخريج:

ورد البيتان في أزهار الرياض في أخبار من عياض: **٣/٣١٩**، وفي نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: **٢/٧٠٢**.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أمَّا بعد...

بعد رحلتنا مع حياة وشعر الشاعر ابن الأزرق الأندلسي خرجت الدراسة بجملة من النتائج نختم بها بحثنا المتواضع، وهي:

1- كانت حياة ابن الأزرق مليئة بالعطاء العلمي والمعرفي والنشاط الثقافي، فضلاً عن النشاط الوظيفي في القضاء وغيرها المتمثل في بلاد الأندلس وغيرها من البلاد الإسلامية الأخرى التي ذهب إليها بعد سقوط غرناطة بيد عبَّاد الصليب.

2- فيما يتعلق بشعره فقد كان شاعرًا يجيد التصرف في فنون الشعر والنظم في أغراضه المختلفة ما بين المديح والرثاء والوصف وغيرها، وفيما يتعلق بالبناء الشعري فقد جاءت أشعاره موزعة بين القصيدة والمقطعة والنتفة، وهو نظم على الأوزان والبحور الشائعة في الموروث الشعري العربي، فضلاً عن استعماله القافية بنوعيها المطلق والمقيد، أمَّا اللغة فقد اتسمت بسلاسة التعبير والسهولة والبساطة، أمَّا الصورة فقد كانت جميلة معبرة تجسد حالته الشعورية مع الثراء في المعجم الشعري.

المصادر والمراجع

١- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، المغرب.

٢- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: تأليف: خير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢.

٣- الأنيس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تأليف: مجدي الدين الحنبلي العليمي (ت ٩٢٧هـ)، إعداد وتحقيق ومراجعة: محمود عودة الكعابنة، إشراف: محمود على عطا الله، مكتبة دنيس، عمَّان.

٤- بدائع السلك في طبائع المُلك، لأبي عبد الله ابن الأزرق (ت ٨٩٦هـ)، تحقيق وتعليق: د. علي سامي النشار، الطبعة الأولى، وزارة الإعلام، العراق.

٥- توشيح الديباج وحلية الابتهاج، بدر الدين محمد بن يحيى بن عُمر القرافي (ت ١٠٠٨هـ)، تحقيق: د. علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤.

٦- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تأليف: محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، تحقيق: د. محمد حجي، راجعه ورقم فهارسه: عبد المجيد خيالي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء.

٧- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف: العلاَّمة الجليل الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف (ت ١٣٦٠هـ)، خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجدي خيالي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.

٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، دار الجيل، بيروت.

٩- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف: الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، حققه: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١٠- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكي (ت ١٠٣٦هـ)، عناية وتقديم: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الثانية، منشورات دار الكاتب، طرابلس، ٢٠٠٠.

Sources and References

1- Azhar Al-Riyadh fi Akhbar Al-Qadi Iyad, Shihab Al-Din Ahmad bin Muhammad Al-Maqri Al-Tilimsani, edited, verified and annotated by: Mustafa Al-Saqa, Ibrahim Al-Abyari and Abdul Hafeez Shalabi, Fadala Press, Morocco.

2- Al-A'lam, a dictionary of biographies of the most famous Arab, Arabist and Orientalist men and women, authored by: Khair Al-Din Al-Zarkali, fifteenth edition, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 2002.

3- Al-Anis Al-Jalil fi Tarikh Al-Quds wa Al-Khalil, authored by: Majdi Al-Din Al-Hanbali Al-Alimi (d. 927 AH), prepared, investigated and reviewed by: Mahmoud Awda Al-Kaabneh, supervised by: Mahmoud Ali Atallah, Dennis Library, Amman.

4- Badai' Al-Selq fi Tabai' Al-Mulk, by Abu Abdullah Ibn Al-Azraq (d. 896 AH), investigated and commented by: Dr. Ali Sami Al-Nashar, first edition, Ministry of Information, Iraq.

5- Tawshih Al-Dibaj wa Hilyat Al-Ibtihaj, Badr Al-Din Muhammad bin Yahya bin Omar Al-Qarafi (d. 1008 AH), investigated by: Dr. Ali Omar, first edition, Library of Religious Culture, Cairo, 2004.

6- Dohat Al-Nasher for the virtues of those who were in Morocco from the sheikhs of the tenth century, written by: Muhammad bin Askar Al-Hasani Al-Shafshaouni, edited by: Dr. Muhammad Hajji, reviewed and indexed by: Abdul Majeed Khayali, Publications of the Moroccan Cultural Heritage Center, Casablanca.

7- The Fragrant Tree of Light in the Classes of the Malikis, written by: the eminent scholar, Professor Sheikh Muhammad bin Muhammad bin Omar bin Qasim Makhlouf (d. 1360 AH), annotated and commented by: Abdul Majeed Khayali, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 2002.

8- The Shining Light for the People of the Ninth Century, written by: the historian and critic Shams Al-Din Muhammad bin Abdul Rahman Al-Sakhawi (d. 902 AH), Dar Al-Jeel, Beirut.أسفل النموذج

9- Nafh Al-Tayyib min Ghusn Al-Andalus Al-Ratib, written by: Sheikh Ahmed bin Mohammed Al-Maqri Al-Tilimsani, edited by: Dr. Ihsan Abbas, Dar Sadir, Beirut.

10- Attaining Delight in Brocade Embroidery, by Ahmed Baba Al-Tanbaky (d. 1036 AH), edited and presented by: Dr. Abdul Hamid Abdullah Al-Harama, second edition, Dar Al-Kateb Publications, Tripoli, 2000.